

محاضرة

طريق الهداية

فضيلة الشيخ عبد الرزاق البدر

حفظه الله تعالى

النسخة الإلكترونية (٢)

الشيخ راجع التفريع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد محمدًا عبده ورسوله، وصفيّه وخليّله، وأمينه على وحيه، ومبلغ الناس شرعه، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمّا بعد...

أيّها الإخوة فإنّ لقاءنا هذا هو في موضوع من أهمّ الموضوعات وهو عن الهداية وطريقها. الهداية التي هي أعظم المقاصد وأجلّ الأهداف وأنبّل الغايات على الإطلاق. الهداية التي يفتقر إليها كلّ عبد في حركاته وسكناته، في قيامه وقعوده، في شؤونه كلّها. الهداية التي يحتاج إليها العبد في مستقبل أمره، وفي ماضي أمره، وفي وقته الحالي، وفي جميع أوقاته. الهداية التي بها تُنال السّعادة ويُظفر بالطمأنينة، وبها يُسعد العبد سعادةً لا شقاء بعدها أبدًا. الهداية التي هي مُنى كلّ مؤمن وغاية ومقصد كلّ موحد، يطمع فيها ويسعى لثباتها، ويرجو بقاءها معه في حياته وآخرته.

وكما أنّ العبد محتاجٌ للهداية في حياته فإنّه كذلك محتاجٌ إليها في آخرته، فشأن الهداية عظيم، وأمرها جدُّ كبير، والحاجة إليها ماسّة، حاجة العبد وافتقاره إلى الهداية ماسّة؛ لأنّ سعادته وفلاحه وفوزه في الدُّنيا والآخرة مرتبط بها ومتوقّف على نيلها وتحصيلها، فشأن الهداية عظيم.

ولهذا كثرت النصوص في كتاب الله وسنة نبيّه ﷺ في تعظيم شأن الهداية وتفخيم أمرها وبيان عظم شأنها وقدرها في آيات كثيرة وأحاديث عديدة عن النّبي الكريم ﷺ، وبيان حُسن عاقبة المهتدين وعظم ثوابهم عند ربهم، وبيان أنّ الفلاح متحقّق لهم في الدنيا والآخرة، فهم أهنأ الناس عيشًا، وأسرّهم قلوبًا، وأنقاهم أفئدة، وأزكاهم نفوسًا، وأسعدهم في كلّ شأن وفي كلّ أمر.

هذه الهداية كان النّبي الكريم ﷺ في أحاديث كثيرة ثابتة عنه يدعو الله بها؛ يسأل الله -جلّ وعلا- في أحاديث كثيرة الهداية وأن يحققها له ويكملها له ويتمّها له في أحاديث كثيرة جدًّا، منها:

ما ثبت في «صحيح مسلم» أنّ النّبي ﷺ كان يدعو ويقول: «اللّهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف

والغنى».

وفي «صحيح مسلم» أن رجلاً سأله أن يعلمه دعاء يدعو الله به فقال: «قل اللهم إن أسألك الهدى والسداد» وفي رواية قال: «قل اللهم اهديني وسدني».

وكان -صلوات الله وسلامه عليه- يقول في قنوته في صلاة الوتر: «اللهم اهدنا فيمن هديت». ويقول ﷺ في خطبه الحاجة التي كان يبدأ بها في كل خطبة يخطبها ﷺ يقول: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه»؛ أي نسأله الهداية.

وكان ﷺ يستعين بالله من ضدها وهو الضلال، ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت، أعوذ بعزتك أن تضلني فأنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون».

وكان عليه الصلاة والسلام كما ثبت في الحديث إذا خرج من بيته يدعو الله فيقول: «بسم الله، توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجير أو يجار علي». وإذا تبعت السنة وأدعية النبي الكريم ﷺ وجدت فيها كثرة أدعيته -صلوات الله وسلامه عليه- المشتملة على سؤال الله الهداية والاستعاذة به ﷺ من ضدها وهو الضلال.

حتى أن المسلم لعظم شأن الهداية وجلالة قدرها أمر أن يسأل الله -جل وعلا- الهداية في كل صلاة فرض أو نفل؛ بل في كل ركعة من كل صلاة كما في فاتحة الكتاب التي تُقرأ في كل ركعة من كل صلاة، وجاء في الحديث «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»، وفي الحديث: «صلاة لا يُقرأ فيها بفاتحة الكتاب خداج»، وفاتحة الكتاب مشتملة على سؤال الله تبارك وتعالى الهداية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ①

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ ﴿هذا هو سؤال الله الهداية قول المصلي: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ⑥﴾ ﴿دعاء يجب على كل مسلم أن يتنبه لهذا أن يتنبه إلى أن قوله في صلاته ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ⑥﴾ ﴿دعاء، سؤال، طلب من الله جل وعلا، يبدأ بالثناء على الله وتعظيمه وتمجيده وحمده وعظمته ﷺ والإقرار له بالعبودية، وهذه كلها مقدمة بين يدي هذا الدعاء العظيم.

فقول المصلي: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ⑥ ﴿هذا سؤال الهداية من الله تبارك وتعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ⑦﴾ [الفاتحة]. فهذه السورة العظيمة اشتملت على هذا

الدعاء العظيم.

ولهذا يقول الإمام الجليل شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - يقول: (تأملت في الأدعية الماثورة فوجدت أن أعظمها شأنًا سؤال الله الهداية، وتأملت القرآن فوجدتها في فاتحة الكتاب).

وفي مجيء هذا الدعاء في فاتحة الكتاب التي هي أم القرآن والتي هي أعظم سورة في القرآن الكريم دون غيرها من المطالب - أي مجيء الهداية دون غيرها من المطالب - دليل على عظم شأن الهداية وشرف قدرها وجلالة مكانتها ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة]، فالعبد يحتاج إلى الهداية في كل لحظة، وفي كل طرفة عين يحتاج إلى هداية الله.

ولهذا ينبغي على سائل الله - تبارك وتعالى - الهداية أن يعلم أن الهداية بيد الله ﷻ، وأن الهادي هو الله جل وعلا، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ٨]، ويقول الله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] فالهادي هو الله - جل وعلا - والموفق هو الله الذي بيده أزمّة الأمور.

ولهذا يقول - تبارك وتعالى - في الحديث القدسي المخرّج في صحيح مسلم في حديث أبي ذر - رضي الله عنه - يقول الله جل وعلا: «يا عبادي كلّم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم»، ومعنى قوله - جل وعلا - في هذا الحديث «استهدوني»؛ أي أسألوني الهداية واطلبوها مني، فإن الهداية بيده - جل وعلا - يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولهذا العبد فقير غاية الفقر محتاج تمام الاحتياج إلى هداية الله - تبارك وتعالى - له إلى الصراط المستقيم.

وهذا كله يبيّن لنا عظم شأن الهداية وشدة احتياجنا لها، وأهل العلم يقولون العبد محتاج إلى الهداية في ماضي أمره وفي مستقبله وفي وقته الحالي، الهداية تتعلق بالماضي والحال والمستقبل لهذه الأحوال الثلاثة كلها يحتاج لهداية.

أمّا الماضي فحاجتك إلى الهداية فيه بأن تتأمل ماضيك وسالف أزمانك وماضي حياتك في أي شيء مضيت وبأي شيء انقضى هذا العمر الممتد الذي تصرّم من حياتك وانقضى من عمرك، في أي شيء انقضى؟ ماذا استودعتم فيه؟ ماذا قدمت فيه للقاء الله تبارك وتعالى؟ تحتاج إلى هداية للنظر في الماضي،

فإن كان الماضي عامراً بالخير مليئاً بالاستقامة عامراً بالطاعة والعبادة والمحافظة على طاعة الله جل وعلا فلتحمد الله - جل وعلا - على تفضله عليك وإنعامه بك وتسديده لك تحمده على ذلك، وإن كان الماضي فيه التقصير وفيه الذنوب وفيه الأخطاء فأنت بحاجة إلى هداية للتوبة مما مضى، فالله جل وعلا يقبل التوبة عن عباده ويعفو عنهم السيئات ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٢) ﴿[الزمر] ، فإذا كان ما مضى من حياة الإنسان مليئاً بالتفريط والتقصير والإضاعة والإهمال ونحو ذلك فهو بحاجة إلى أن يهديه الله جل وعلا لأن يتوب إلى الله وينيب إليه وأن يعود إلى طاعة الله - جل وعلا - وأن يستغفره مما سلف وكان.

أمّا الحال، كما يقال: (الإنسان ابن يومه)، فإن الإنسان يحتاج أن يقوم نفسه في يومه على الإصابة وعلى السداد وعلى الرشاد وعلى القيام بطاعة الله والمحافظة على البعد عن التواني والعجز والكسل والتضييع والإهمال ونحو ذلك. فيحتاج في يومه إلى الهداية إلى ذلك؛ أن يهديه الله - جل وعلا - في يومه ليكون محافظاً على طاعة الله مبتعداً عن معصية الله، ولهذا فلاحظ كما مر معنا أن المسلم يسأل الله - جل وعلا - الهداية في كل ركعة من كل صلاة نفل أو فرض ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿[الفاتحة] تدعو الله - جل وعلا - أن يمن عليك ويهديك صراطه المستقيم، وهذا من الأسرار التي ذكرها أهل العلم في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ ﴿[العنكبوت: ٤٥] فأنت إذا توضأت ووقفت بين يدي الله - تبارك وتعالى - خاشعاً متذلاً وسألته بصدق فالله - جل وعلا - لا يخيب من ناداه ولا يرد من دعاه فسألت ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿[الفاتحة] تكرر ذلك في صلاتك أكثر من مرة، ثم إذا صليت النافلة تكرر ذلك، الله - جل وعلا - لا يخيب دعاءك ويسددك، ثم إذا جئت إلى الصلاة الأخرى أعدت الدعاء وأعدت الطلب وأعدت السؤال فتسأل الله - جل وعلا - أن يهديك الصراط المستقيم.

وأمّا حاجة العبد إلى الهداية في المستقبل فهذا أمر ظاهر، فأنت في مستقبل أمرك لا تدري ماذا يكون وماذا ستواجه من فتن وشبهات وشهوات وأمور صادة عن طاعة الله ولا سيما إذا تفاقت الفتن وكثرت الشرور وكثرت الصّوادّ والصّوارف عن طاعة الله - جل وعلا -، فالإنسان المؤمن الصادق قد يتخوّف من الفتن التي تواجهه في مستقبل أمره فهو فقير أشد الافتقار إلى أن يهديه الله - جل وعلا - صراطه المستقيم إلى أن يموت على ذلك.

قد كان في دعاء النبي ﷺ وهو يتضمّن معنى دعاء أو سؤال الهداية كان في دعائه ﷺ يقول : «اللَّهُمَّ احيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي».

ويقول في دعائه الآخر وهو في صحيح مسلم وهو دعاء عظيم «اللَّهُمَّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير والموت راحة لنا من كل شر».

فالإنسان يحتاج إلى هداية الله له في مستقبل أمره في الدنيا والآخرة، في الآخرة تحتاج أن يهديك الله إلى النجاة من النار ومجاوزة الصراط الذي ينصب على متن جهنم ودخول الجنة وأهل الجنة عندما يدخلون الجنة يحمدون الله على الهداية لدخولها ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] فيحمدون الله عند دخول الجنة على من الله عليهم وتفضله عليهم بدخولها فلولا هدايته ما دخلوها لولا هداية الله تبارك وتعالى لهم ما دخلوا الجنة فيحتاج الإنسان إلى الهداية في مستقبل أمره.

شأن الهداية عظيم وحاجتنا إليها ماسة والنبي ﷺ حضّ أمته على العناية بها وبين عظم شأنها وعظم أهميتها، ومر معنا في أدعيته الكثيرة التي أشرنا إلى طرف منها التي يسأل الله فيها الهداية، فهذا كله يبين عظم شأنه، فما هو طريق الهداية؟ ما الطريق الذي يوصل إليها؟

أول ذلك ومقدمه توفيق الله ﷻ قد مرّ شيء من النصوص المبينة والدالة على أن الهداية بيد الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فمن أراد لنفسه الهداية فليستهدي الله يطلبها من الله - جل وعلا - ويلج على الله - جل وعلا - بالدعاء وأن يهديه «اللَّهُمَّ اهْدني فيمن هديت»، «اللَّهُمَّ إني أسألك الهدى والسداد»، «اللَّهُمَّ إني أسألك الهدى والتقوى والعفاف والغنى»، وهكذا يلج على الله - جل وعلا - ويسأله بالراح وصدق أن يهديه في كل الأوقات، أنت تحتاج أن تسأل الله الهداية إلى أن تفارق هذه الحياة وأنت تلج على الله جل وعلا أن يهديك الصراط المستقيم.

ومن أهم ما ينبّه عليه العلماء في هذا الباب ملاحظة ما أشرت إليه؛ الدعاء الذي في فاتحة الكتاب؛ لأن كثيراً من عوام المسلمين يقرأ الفاتحة ويكررها ويعتني بها لكنه لا يستشعر أنها دعاء وطلب، ولهذا جاء في الحديث القدسي الطويل عندما يقول العبد ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ②﴾ [الفاتحة] يقول الله جل وعلا: «هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»، لهذا

ليس من اللائق بالعبد أن يقول هذا الكلام وهو لا يستشعر أنه يدعو الله، بل ينبغي أن يستشعر أنه يدعو الله تبارك وتعالى.

فأعظم ما يكون في تحصيل الهداية ونيلها سؤال الله جل وعلا أن يهدي العبد إلى صراطه المستقيم وطريقه القويم وأن يجنبه الصوارف والصواد عن هذا الصراط، ثم بعد ذلك يعرف ما هي الهداية لأن فاقد الشيء لا يعطيه، ومن لم يعرف الطريق كيف يسلكه وكيف يسير فيه؟
فلهذا تعرف طريق الهداية والبحث عنه والجد والاجتهاد في هذا الباب العظيم هو من أهم ما يكون.

والهداية كما قال أهل العلم هي معرفة الحق والعمل به وإيثاره على ما سواه، والهداية لها ركنان:

العلم بالحق هذا ركن.

والعمل به هذا الركن الثاني.

فمن كان عالمًا بالحق؛ لكنه لا يعمل به، فهذا ليس بمهتدي؛ بل هو من المغضوب عليهم، اليهود وما شاكلهم يعرف الحق ولا يعمل به قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥] حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ولم يحملوها: أي لم يعملوا بها، عرفوها وقرؤوها وفهموها؛ لكنهم لا يعملون بها، فمن عرف الحق ولم يعمل به ليس بمهتد بل هو مغضوب عليهم غضب الله عليه.

ومن كان يعمل ويجد ويجتهد في العبادة والطاعة لكنه بدون علم ليس عنده علم يعني عنده عمل ولا علم عنده فهذا ضال أيضاً ليس بمهتد، ولهذا الذين يفارقون الهداية على قسمين:

قسم مغضوب عليهم وهم الذين يعلمون ولا يعملون.

وقسم ضالون وهم الذين يعملون ولكن بلا علم ولا بصيرة وبلا فقه في دين الله تبارك وتعالى.

ولهذا جاء في سورة الفاتحة هذه السورة العظيمة ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٢﴾ يعني مَن علينا يا الله بالطريق المستقيم طريق المُنعم عليه غير المغضوب عليه، فالْمُنعم عليهم هم الذين علموا بالحق وعملوا به وهم المهتدون ﴿أَوَّلَيْكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥﴾ [لقمان] علموا بالحق وعملوا به، اجتمع فيهم الأمان أو القوتان: القوة العلمية، والقوة العملية الإرادية، اجتمع فيهم التوحيدان: التوحيد العلمي، والتوحيد العملي، تحقق فيهم هذان الأمران؛ فهؤلاء هم المهتدون.

ثم بعد ذلك الناس على فريقين: مغضوب عليه، وضال .

أما المغضوب عليه فهو الذي يعرف الحق ويقف على الأدلة ويسمع النصوص وتبين له الطريق المستقيم؛ لكنه ليس عنده إرادة ولا همّة ولا عزيمة ليعمل، يعرف أن هذا طريق الجنة، وأن هذا طريق النار، لكنه لا يمشي على طريق الجنة، يمشي مع طريق النار، ليس صدوده عن جهل وليس إعراضه عن عدم علم، بل يعلم أنه مخطئ وأنه غلط وأن هذا الطريق لا يفضي إلى خير، لكنه يسلكه لقصور همته وضعف عزمته ووهن إرادته ، فلا يسلك الطريق المستقيم وعدم سلوكه للطريق المستقيم ليس عائداً إلى جهله به وعدم علمه بهذا الطريق، وإنما هو عائد إلى ضعف عزمته ووهن الإرادة فهذا قسم.

و القسم الثاني هو الضال الذي يعتني بالعبادة ويهتم بها؛ لكن بدون علم وبدون بصيرة وبدون فقه في دين الله جل وعلا، فهو يعمل ويجتهد وينصب لكن بدون علم وبدون فقه في دين الله ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ يعمل ويجتهد و يجد لكن بدون علم وبدون بصيرة .

قال الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۖ (١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً

(٤)﴾ [الغاشية] عمل ونصب إلى النار ، لماذا ؟ لأنه بدون علم وبدون بصيرة في دين الله تبارك وتعالى . ولهذا الله -تبارك وتعالى- لا يعبر بأي شيء وإنما يعبر بما شرع، وبما ولت إليه رسل الله صلوات الله وسلامه عليه، قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٣)﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ لَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣)﴾ [الشورى] . وقال تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٦)﴾ [الأنعام] .

ولهذا يحتاج العبد إلى الأمرين ليكون مهتد العلم والعمل، العلم بدين الله ، والعمل بدين الله ، ثم الثبات على ذلك، وسؤال الله جل وعلا الثبات مع ذلك، قال الله جل وعلا: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَآءُ (٢٧)﴾ [إبراهيم] .

والنبي -عليه الصلاة والسلام- نصح أمته ودلّها إلى كلّ خير ونهاها عن كلّ شر ، شأنه شأن جميع الأنبياء والمرسلين ، قال ﷺ : «ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته إلى خير ما يعلمه لهم ، وأن يحذرهم من شرّ ما يعلمه لهم » .

فبيّنا - صلوات الله وسلامه عليه - دلنا إلى كل خير ونصح أمته أبان الحجة وأوضح المحجة وأبان السبيل، وما ترك خيرا إلا دل الأمة عليه ولا شرا إلا حذرنا منه، كل جانب تحتاج إليه في فعل الخير والبعد عن الشر ذلك عليه النبي الكريم - صلوات الله وسلامه عليه -، ولم يمت ﷺ حتى أنزل الله - جل وعلا - في ذلك سببا، قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ١٣]، فبيّن صلوات الله وسلامه عليه طريق الهداية، وأوضحه وبيّنه في أروع وأحسن ما يكون من البيان.

فطريق الهداية مناراته واضحة وعلاماته بينه وأبوابه مشرعة وسبيله نير، والذي على العبد هو أن يجاهد نفسه ويغالبها على سلوك هذا الطريق، مستعينا بالله تبارك وتعالى على ذلك، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت].

ومن بيان النبي الكريم - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في الهداية، ومن وكمال نُصحه لأمته في هذا الباب أنه حرص ﷺ أن يبيّن لهم طريق الهداية بكل سبيل وبأوجه كثيرة من الدلالة وطرق عديدة من البيان نُصحا للأمة ودلالة لها إلى الخير.

ولهذا نقف بكم هنا مع حديثين عظيمين جدا عن - النبي ﷺ في توضيح الهداية بضرب الأمثال وكما يقال: (بالمثال يتضح المقال)، فالنبي ﷺ بيانا منه وإيضاحا لطريق الهداية ضرب أمثالا عظيمة توضّح الأمر وتثير للمؤمن الجادة وتبيّن له السبيل. سأقف بكم مع مثلين عظيمين عن النبي الكريم - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في بيان طريق الهداية:

فالأول: ما ثبت في «المسند» و«السنن» عن النّوّاس بن سَمْعَانَ عن النّبي ﷺ أنه قال: «ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبتي الصراط سُوران، وفي السورين أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وداع يدعو على رأس الصراط، وداع يدعو من فوق الصراط، أمّا الصراط المُستقيم فهو الإسلام، وأمّا الأبواب المفتحة فهي محارم الله، وأمّا السور المرخاة فهي حدود الله، فإذا أراد العبد أن يفتح بابا من هذه الأبواب، ناداه مناد: يا عبد الله لا تفتحه إنك إن فتحتَه تلجَه» يعني تدخل معه «والداعي الذي يدعو على رأس الصراط فهو كتاب الله، والداعي الذي يدعو فوق الصراط فهو واعظ الله في قلب كل مسلم».

هذا الحديث العظيم يقول عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (هذا حديث عظيم من عرفه انتفع به انتفاعا كبيرا وأغناه عن علوم كثيرة)، من عرفه؛ أي من فهم هذا الحديث وعرفه وتأمل فيه ووقف على

دلالتة وعمل بمقتضاه أغناه عن علوم كثيرة، وهو حقاً كذلك.

فالنبي ﷺ ذكر هذا المثل العظيم الذي ضربه الله - تبارك وتعالى - لبيان الصراط المستقيم ولايضاحه والدلالة عليه .

«صراطا مستقيما» يعني طريقا ممتد مستقيم، «وعلى جنبتي هذا الطريق المستقيم سوران وفي السورين أبواب مفتحة» يعني الذي يمشي مع هذا الطريق يجد على يمينه ويساره أبواب مفتحة، «وعلى هذه الأبواب ستور مرخاة» أي ستائر نازلة من أعلى الأبواب إلى أسفلها ستور مرخاة، «وعلى رأس الطريق داع يدعو، وفوق الطرق داع يدعو».

وأنت في هذه الحياة تشابه هذا من هو في هذا الطريق المستقيم، فتجد على يمينك ويسارك ستائر مرخاة على هذه الأبواب، والنفس قد تحدث الإنسان والشیطان قد يدفع الإنسان: افتح الستارة ادخل ترى تشاهد تقف على كذا.. مغريات، أشياء، وهكذا فيمشي الإنسان ويسير في هذا الطريق، وكل مرة يواجه أبواب على اليمين و اليسار وستور مرخاة، كما سيأتي في الحديث آخر، «وعلى كل طريق شيطان يدعو إليه» تفضل ادخل شاهد مغريات.. أشياء من هذا القبيل، داع يدعو إليه، فالإنسان في مجاهدة أن يبقى ثابتا على هذا الصراط.

وقليل من عباد الله الذين يثبتون على ذلك ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف]. والإنسان بحاجة إلى أن يثبتته الله على هذا الصراط، ومن ثمرة الثبات عليه الثبات على الصراط الذي ينصب على متن جهنم يوم القيامة.

ثم قال -عليه الصلاة والسلام-: «هذه الأبواب المفتحة محارم الله، والستور المرخاة حدود الله»، فالباب المفتوح محارم الله، يعني حرام أن يدخل معها الإنسان، محرم عليه، وهنا تأتي جميع المعاصي والآثام الزنى والقتل وسائر الذنوب والآثام، وتأتي في مقدمتها وأشنعها وأفظعها الشرك بالله ﷻ. فالستور المرخاة قال: «محارم الله»، والإنسان مأمور بأن لا يتعدى حدود الله وأن يحافظ على طاعة الله وأن يتجنب محارم الله فلا يقع فيها «إن الله حدّ حدودا فلا تعتدوها ونهى عن أشياء فلا تقربوها» هذا يوضح قوله: أبواب وستور في هذا الحديث، ثم قال: «وعلى رأس الصراط داع يدعو إليه؛ وهو كتاب الله».

وهذا يدلنا على أن من يريد لنفسه حسن الاستقامة وكمال السير في الطريق المستقيم أن يعتني بكتاب الله ﷻ وأن يهتم به وأن يهتم بسنة النبي الكريم المبيّنة لكتاب الله، فكتاب الله داع يدعو للثبات

على الصراط، فما دمت مع القرآن فأنت على خير وأنت على صراط مستقيم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝١﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠﴾ [الإسراء] ، ويقول تعالى: ﴿فَذَكَاتُ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تُنْكِرُونَ ۝٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمَرَكَ مَنَاجِرًا تَهْجُرُونَ ۝٦٧﴾ أَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ ۝﴾ [المؤمنون].

فالعناية بتدبر القرآن وتعقل معانيه ومعرفة دلالاته والعمل بما يقتضيه، هذا أعظم عوننا للإنسان للثبات والدوام على صراط الله المستقيم، وهكذا العناية بالسنة التي هي مبنية وسارحة وموضحة لكتاب الله تبارك وتعالى، والله -جل وعلا- يقول في القرآن: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۝﴾ [الحشر: ٧].

فالعامل بالسنة والتقيد بها هو عمل بالقرآن وتقيد به، والداع الذي فوق الصراط: واعظ الإنسان في قلب كل مسلم، وهو ما يقوم في قلب الإنسان من تقوى الله ومراقبة له وخشية منه وخوفا من عقابه ومحبة لطاعته ونحو ذلك، فهذا واعظ الله في قلب كل مسلم.

ولذا جاء عن بعض الصحابة أنه قال: (إِنَّ لِلذُّنُوبِ وَحْزًا فِي النَّفْسِ)؛ أي المؤمن الصادق عندما يرتكب معصية أو يقع منه ذنب يجد وخزا في قلبه ويجد حزًا في صدره وألم ولا يجد اطمئنان ولا راحة. واعظ الله في قلب كل مسلم .

ولهذا الإنسان يبتعد عن الريبة ويبتعد عن الأمور التي لا يطمئن لها قلبه ولا يسكن لها ويجد أنها لا تليق به، وليست من شأن المسلم، وإذا قاربها أو قاربها أو قرب أن يقع في شيء منها يجد في نفسه منها صدود .

أمَّا صاحب القلب الميت فهو يقع في الذنب ويقارف المعاصي ولا يشعر لأن قلبه ميت (وما لجرح بميت إيلا)، صاحب القلب الميت ما يحس، لكن القلب إذا كان فيه حياة ما يطمئن للمعصية وينزعج منها ويجد ألمًا لها في صدره حتى يجانبها.

فهذا حديث عظيم في بيان طريق الهداية .

والحديث الآخر حديث عبد الله بن مسعود الذي رواه الإمام أحمد في مستنده قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًا مستقيماً ، ثم قال: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ» ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: «هَذِهِ سَبِيلُ وَعَلَى سَبِيلِ شَيْطَانٍ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثم تلا قول الله جل وعلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا

السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴿١٥٣﴾ [الأَنْعَام: ١٥٣].

فهذه الآية وهذا الحديث حديث ابن مسعود فيه الدلالة إلى أن طريق الله المستقيم طريق واحد لا ثاني له، طريق مستقيم يصل بالعبد من هذه الحياة الدنيا إلى الجنة، طريق مستقيم لا عوج فيه ولا ميلان، وإنما هو طريق ممتد مستقيم يصل بالعبد من هذه الدنيا إلى الجنة، مثل ما جاء عن ابن مسعود راوي هذا الحديث: أَنَّ رجلاً سألَه قال له: ما الصراط المستقيم؟ قال: (تركنا رسول الله ﷺ في أوله) أي في بدايته (وطرفه في الجنة)، هكذا يقول ابن مسعود، (وعليه جواد) أي طرق، (وفي هذه الجواد رجال يدعون إليها، فمن سلك هذه الجواد التي على جنبتي الصراط المستقيم انتهت به إلى النار، ومن سار على الصراط المستقيم انتهى به إلى الجنة).

فبيّن النبي ﷺ في الحديث بهذا المثال العظيم البديع الذي وضح فيه الصراط المستقيم غاية الإيضاح، بيّنه لنا، الصراط المستقيم: طريق واضح؛ هو التزام دين الله، إسلام الوجه لله، الإقامة على طاعة الله، المحافظة على عبادته، البعد عن ما حرم الله ﷻ، إذا زلّ الإنسان وإذا أخطأ واقترب ذنباً أو معصية أو نحو ذلك فإنه ينب ويعود لفوره إلى طريق الله المستقيم، ويُنِيب إلى ربه العظيم، ويتوب من ذنبه وخطئه وتقصيره ويعود لسلوك هذا الطريق على أحسن ما يكون وأتم ما يكون، وفي الحديث يقول ﷺ: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون».

فلا يعني إذا دخل الإنسان باباً من هذه الأبواب المفتحة أو سلك جادة من هذه الجواد المهلكة لا يعني هذا أن يتمادى في الباطل وأن يستمر في طريق الغواية؛ بل الواجب عليه أن يعود وينيب إلى طريق الله وصراطه المستقيم.

إذن الهداية - كما تقدم - هي: العلم بالحق والعمل به فحاجة العبد إلى هذين الأمرين هي أشد ما تكون حاجته .

تحتاج أنت في هذه الحياة أن تجاهد نفسك على تحصيل العلوم النافعة، علم الكتاب والسنة، وأن تجاهد نفسك على هذا الأمر العظيم، وأن تخصص في حياتك أوقات كذلك لكي تتعلم وتتفقه في دين الله ولتعرف أحكام الله ﷻ ولترفع الجهل عن نفسك، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل] لكنه جعل لك سمع وجعل لك بصر وجعل لك فؤاد لتعلم وتتفقه في دين الله ولتعرف أحكام الله - جل وعلا -، فنحتاج إلى العلم بدين الله ونحتاج إلى العمل بدينه، فمن كان عالمًا



[الأسئلة]

سؤال (١): من عمل وفق الشرع؛ ولكن لا عِلْمَ له؛ بل هو من عوام المسلمين، فما نصيبه من الهداية؟

الجواب: نصيبه من الهداية بحسب نصيبه من العلم والعمل، فمن عنده تقصير في العلم يجاهد نفسه في تحصيله، وليس كل علم مطلوب للإنسان، ليس مطلوب من كل عبد مكلف أن يحيط علما في علوم الشريعة، وإنما يسع الإنسان أن يتعلم الأمور المعلومه من الدين بالضرورة، يتعلم الشهادتين ومعناهما وشروط الشهادتين والصلاة أركانها وشروطها واجباتها، الأمور التي حَرَّمَها الله ﷻ ليجانبها ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

فالمطلوب في العلم والأمر المتأكد منه هو العلم العيني الذي لا يسع أي مكلف جهله، ولهذا المسلم مطالب في معرفته بالله ومعرفته بالنبي ﷺ ومعرفته بدين الله أن يعرف ذلك بالأدلة، وخاصة إذا كثرت العلماء والدعاة، ومن يدلون الناس على الخير، فإن المسؤولية في هذا الباب تعظم وتكبر أكثر مما لو كان الإنسان في مكان ليس فيه من يعلمه ولا من يدلّه على الخير.

أما أن يكون الإنسان في رحاب العلماء وبين أيديهم الكتب والأشرطة النافعة والدروس المفيدة ثم يصدُّ عنها ويعرض عنه لا ويستغني عنها بتوافه الأمور فلا شك أن هذا مقصّر في تحقيق ما يتعلّق بطريق الهداية.

سؤال (٢): فضيلة الشيخ حفظكم الله وسدّدكم هل من قال: (لا إله إلا الله) ولم يعمل عملا يكون

مسلمًا مع بيان بعض الأدلة حفظكم الله؟

الجواب: (لا إله إلا الله) هذه الكلمة أعظم الكلمات وأجلها على الإطلاق؛ لكن هذه الكلمة لا تقبل من قائلها إلا إذا أتى بشروطها وعمل بضوابطها التي دل عليها كتاب الله وسنة نبينا ﷺ، ولهذا لما قيل لوهب بن منبه: أليست لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح. يشير إلى شروط هذه الكلمة وضوابطها.

وقيل للحسن البصري: أليس من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة؟ قال: بلى، من أدّى حقّها وفرضها دخل الجنة.

فهذه الكلمة هي كلمة عظيمة؛ بل أعظم الكلمات وأجلها على الإطلاق؛ لكنها إنما تنفع قائلها إذا أتى بشروطها وضوابطها التي في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وهي العلم بمعنى هذه الكلمة المنافية للجهل واليقين بها المنافي للشك، والصدق المنافي للكذب، والإخلاص المنافي للشرك، والرياء والمنافية

المنافية للبغض والكراهة، والانقياد المنافي للترك والقبول المنافي للرد، شروط سبعة دل عليها النصوص الكثيرة لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ قد قال بعض أهل العلم نظمًا:

وبشروط سبعة قد قيدت	وفي نصوص الوحي حقًا وردت
فإنه لا يتفجع قائلها	بالنطق إلا حيث يستكملها
العلم واليقين والقبول	والانقياد فإدر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة	وفَّقك الله لما أحبه

فهذه الشروط لابد منها، أمّا أن يقولها بدون إخلاص، أو يقولها وليس صادقًا، أو يقولها ولا يعلم معناها وما تدل عليه، أو يقولها وليس موقنًا من قلبه أو نحو ذلك، فإن هذه الكلمة لا تكون مقبولة منه.

